

الخصائص الأسلوبية في دعاء الصباح للإمام علي: "مقاربة تحليلية"

١- م. م هدى علي رزاق
المديرية العامة لتربية المثني

hudaalialmahmod@gmail.com

٢- م. م نهاد كاظم هليل
المديرية العامة لتربية ذي قار

cc50cc20cc60@gmail.com

الملخص

تهدف هذه الدراسة الى الوقوف على الخصائص الأسلوبية في دعاء الصباح للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ذلك من خلال مقارنة تحليلية أسلوبية راصدة، تستند على دراسة مستويين رئيسين : المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي الدلالي، وتتبنى الدراسة فرضية مفادها أن الدعاء ليس نصاً روحياً تعبيرياً فحسب، بل هو بناء لغوي وفني محكم تتكامل فيه الموسيقى الداخلية، والتركييب النحوية، والدلالات الإيمانية والنفسية، وأن نص (دعاء الصباح) يمتلك تلك الخصوصية التي ترقى به الى مصاف كبريات النصوص العربية المتعالية لغويا وفنيا، حيث يصدر من سيد البلغاء والمتكلمين الى الذات الإلهية فيمثل العتبة العليا في اللغة من المناحي الأسلوبية والفنية دونما شك، وقد كشف التحليل الصوتي عن حضور فاعل لظواهر أسلوبية يأتي للترار بأنواعه في طليعتها، ولا سيما التكرار الاستهلاكي القائم على صيغ النداء، متمثلا بالصيغ : (اللهم)، و(يا من)، و(إلهي)، فضلا عن تكرار بعض الألفاظ والحروف التي تتسج شبكة النص بقصدية عبقورية استطاعت أن تعزز الإيقاع وتعمق دلالات الخشوع والتضرع والتبتل والانصهار في مناخ الخشوع والابتغال الحق الذي يليق بهذا المقام الشريف، كما أظهر البحث أثر التقنيات البلاغية السائدة من مثل (السجع والتجنيس)، واستبيان وظيفتها في تشكيل نسيج إيقاعي منسجم مع طبيعة المناجاة ومتطلباتها النفسية والروحية . ومن زاوية أخرى، وعلى صعيد المستوى التركيبي الدلالي، فقد تبين أن الجمل الإنشائية، ولا سيما أساليب (النداء والأمر والاستفهام) ، تمثل البنية الغالبة في الدعاء تلبية للمقاصد الوظيفية، إذ تنزاح عن معانيها الأصلية الموضوعية لها في مستواها الخطابى المباشر، لتؤدي وظائف (الالتماس والتقرير والتضرع وإظهار عظمة مقام الدعاء بوصفه مخ العبادة، كما تحرى البحث ثنائية (القرب والبعد) بوصفها محورا دلاليا مهما استطاع أن يعكس توتر النفس وتأرجحها بين الخشية والرجاء ، وخلص البحث إلى أن دعاء الصباح نص أسلوبى فريد يجمع بين البلاغة، والإيقاع، والعمق الروحي، ويكشف عن قدرة الإمام علي عليه السلام في توظيف اللغة توظيفا فنيا وعقائديا مؤثرا، ثم يرقى ليشكل الصورة الأبهى للتكامل الأسلوبى الذي يليق بمقام الدعاء وخصوصيته العبادية .

الكلمات المفتاحية: الأسلوبية، دعاء الصباح، الإمام علي، المستوى الصوتي، المستوى التركيبي الدلالي، النداء، التكرار.

Stylistic Features in the Morning Supplication of Imam Ali: An Analytical Approach

Huda ali razaq
Nuhad Kazem Halil

Abstract

This study aims to examine the stylistic features of (Dua al-Sabah), attributed to Imam Ali ibn Abi Talib, (peace be upon him), through an analytical stylistic approach that focuses on two main levels: the phonological level and the syntactic-semantic level. The study is based on the assumption that supplication is not merely a spiritual and devotional text, but also a carefully constructed linguistic and artistic structure in which internal rhythm, syntactic patterns, and spiritual and psychological meanings interact harmoniously. Within this



framework, Dua al-Sabah possesses a distinctive quality that elevates it to the rank of major Arabic texts marked by linguistic and artistic excellence, since it proceeds from the master of eloquence and speech and is directed toward the Divine. Accordingly, it represents one of the highest manifestations of language in its stylistic and artistic dimensions. The phonological analysis reveals the effective presence of several stylistic phenomena, foremost among them repetition in its various forms, especially initial repetition based on vocative formulas such as invocation, direct address, and intimate appeal to God. The repetition of certain words and sounds also contributes to weaving the textual fabric with remarkable artistic intentionality. This reinforces the rhythm of the supplication and deepens the meanings of humility, entreaty, devotion, and spiritual absorption within an atmosphere of reverence and sincere prayer appropriate to the sacred nature of the text. The study also demonstrates the role of supporting rhetorical techniques, such as rhymed prose and paronomasia, in shaping a rhythmic texture that accords with the nature of intimate supplication and its psychological and spiritual requirements. At the syntactic-semantic level, the study shows that expressive sentence structures, particularly vocative, imperative, and interrogative forms, constitute the dominant structure of the supplication in response to its functional purposes. These structures move beyond their direct conventional meanings in ordinary discourse in order to perform the functions of entreaty, affirmation, humility, and the manifestation of the elevated status of supplication as the essence of worship. The study also investigates the binary opposition of nearness and distance as an important semantic axis that reflects the tension of the soul and its movement between fear and hope. The study concludes that (Dua al-Sabah) is a unique stylistic text that combines eloquence, rhythm, and spiritual depth. It also reveals Imam Ali's ability, peace be upon him, to employ language in an artistically powerful and doctrinally meaningful manner. Ultimately, the supplication rises to embody one of the finest forms of stylistic integration, a form that corresponds to the status of supplication and its distinctive devotional nature.

Keywords: Stylistics, Dua al-Sabah, Imam Ali, phonological level, syntactic-semantic level, vocative style, repetition.

المقدمة :- الدعاء ممارسة روحانية لا يختص بها المسلمون، بل هي قائمة منذ الأزل والى يومنا هذا ، فلطالما كان الانسان يشعر بالماورائيات والغيبيات ، وحاجة ماسة الى الاتكاء على تلك القوى الغيبية التي تتكفل بحمل ما ينوء به كاهله ، وتعجز عنده قدرته ويستعصي على قدراته الفيزيائية والفكرية والوجدانية ، فنراه يهرع الى أن يصلي في كل نازلة تلم به وفي ليله ونهاره وحله وترحاله وعلى اي حال كان يواصل الصلاة ومعناها المعجمي -قديمًا- الدعاء فتكون هي البوابة التي يغري بها حاجاته ان تأتي ، وبها يستعطف تلك القوى الخفية - التي يعتقد بها - لئتم بما تمن به عليه من حاجاته ورغباته ، فكانت تلك الصلوات الاغنية الدينية التي رافق سيرورته ونشأته منذ القدم ، ومع تقادم الازمان وارتقاء الانسان عتبات التحضر ، ونزول الاديان السماوية لتضع الامور عند نصابها وتأخذ بيد هذا المخلوق العاجز عن ترويض نفسه فضلاً عن محيطه - مهما تقدمت به التكنولوجيا - الى حيث الاله الواحد الاحد الكامل لا ككمال الخليفة بل كما شاء جل وعلا فكانت الانوار الإلهية والطافه السماوية هي المنار والفنار الذي اضاء دروبا كانت تنتهي بالتيه والشعور بالضيق والعجز وانعدام الجدوى وغياب الوجهة والهدف . وثقافة الدعاء في الاسلام اتسمت بالغنى على الصعيد الفكري والوجداني لما



للدين الاسلامي من خواص بصفته خاتم الاديان والشرائع السماوية ، ولاتساع اللغة العربية - لغة الاسلام - واشتمالها على امكانات انمازت بها عن اللغات الاخرى .

كما أن لهذه الصلة (الدعاء) سمتها في الاهتمام بالجانب النفسي والوجداني فنرى القرآن الكريم يعنى بهذه الجوانب كل الاعتناء ويوليها كل الاهتمام ويعالج حالاتها ويرصد دقائق التحولات النفسية وانفعالات الانسان بصفته كائن ذو نزعة وجدانية ونفسية طاغية ، فجاء الدعاء ليلبي حاجاته على الصعيدين (النفسي ، والمادي) حيث يصرح القرآن الكريم بذلك في كثير من آياته الكريمة .

وليدل هذا المعنى (الدعاء) الذي حث عليه القرآن بوصفه عبادة على منزلة الدعاء العظيمة في الإسلام، فهو باب من أبواب الرحمة الإلهية ومفتاح لاستجلابها وحلولها، ووسيلة محببة الى الله تعالى ليتقرب بها العبد إلى ربه في مختلف أحواله، على أن لا يكون الدعاء فعلاً عابراً أو صوتاً يذهب في الفراغ ويفتقر الى القصدية والقربى الى الله تعالى وتوحيده وتمجيده والايان المطلق به، ولذا فهو عبادة ذات أثر بالغ على حياة المسلم، فقد ينال بها الإنسان ما سأل، أو يدفع الله عنه بها شراً يماثل ما طلبه من الخير، ما دام دعاؤه منضبطاً بحدود الشرع، بعيداً عن الإثم وقطيعة الرحم ومعصية الله، ومن هنا يتضح أن الحث النبوي على الإكثار من الدعاء يكشف عن سعة فضل الله تعالى، إذ إن خزائن رحمته لا تنفد، وعطاءه لا يضيق بكثرة السائلين.

الإطار المنهجي والنظري للبحث :-

١- **مشكلة البحث :-** تتمثل مشكلة البحث في محاولة الكشف عن الخصائص الأسلوبية في دعاء الصباح للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، بوصفه نصاً دعائياً ذا بنية لغوية وفنية وروحية متعالية على جميع الصعد، ويمكن ان تتحدد المشكلة في السؤال الرئيس الآتي : كيف أسهمت البنية الصوتية والتركيبية الدلالية في تشكيل الخصوصية الأسلوبية لدعاء الصباح؟ ومن ثمّ يتفرع عن هذا السؤال النظر في أثر التكرار، والنداء، والسجع، والتجنيس، وبنى الأمر والاستفهام، في إنتاج الدلالة الروحية والنفسية للنص، والكشف عن علاقات الخشوع والتضرع، والقرب والبعد، والخوف والرجاء داخله .

٢- **أهمية البحث :-** تأتي أهمية البحث من أهمية النص قيد الدراسة (دعاء الصباح) ، إذ يمثل نصاً روحياً وبلاغياً رفيعاً ينتمي إلى أدب الدعاء ويصل به الى أعلى تجلياته واستيفاء اشتراطاته المخصوصة، ولما كان يصدر عن شخصية عرفت بتسيّد البيان وقوة العبارة وعمق الرؤية والأخذ بمجاميع اللغة والارتقاء بها الى ذراها وقممها الابداعية والفنية والجمالية، كما تكمن أهمية البحث في أنه لا يتعامل مع الدعاء بوصفه نصاً عبادياً فحسب، بل بوصفه بناءً أسلوبياً قابلاً للتحليل والكشف عن آلياته الفنية ومكامن عظمتة وخلوده، وغير ذلك تبرز قيمة الدراسة أيضاً في ربطها بين البعد الصوتي والبعد التركيبي الدلالي، وبيان أثرهما في إنتاج الإيقاع، وتعميق المعنى، وتجسيد الحالة النفسية للمتضرع بين الخشية والرجاء، والتضرع الحق المستكمل شروطه الى درجة الكمال .

٣- **أهداف البحث :-** يهدف البحث إلى دراسة الخصائص الأسلوبية في دعاء الصباح من خلال المستوى الصوتي والمستوى التركيبي الدلالي، لذا يسعى إلى بيان أثر الظواهر الأسلوبية الكبرى من مثل التكرار الاستهلاكي وصيغ النداء المشتغلة على تقسيم النص إلى أنساق داخلية صغرى مترابطة، والكشف عن وظيفة التكرار اللفظي والحرفي في تعميق الإيقاع والدلالة، ويهدف البحث كذلك إلى تحليل حضور الفنون البلاغية المتحققة في النص كالسجع والتجنيس بوصفهما تقنيتين بلاغيتين تسهمان في بناء الموسيقى الداخلية للنص، أما على المستوى التركيبي، فيسعى البحث إلى دراسة غلبة الجمل الإنشائية والوقوف على الجنبه النحوية من خلال الاساليب الرئيسة التي تشكل بنية النص اللغوية، ولا سيما النداء والأمر والاستفهام، وبيان انزياحها عن معانيها الأصلية إلى وظائف الدعاء والالتماس والتقريب والتضرع، فضلاً عن الكشف عن ثنائية القرب والبعد بوصفها محوراً دلالياً مركزياً في الدعاء.

٤- **فرضيات البحث :-** يفترض البحث أن دعاء الصباح ليس نصاً روحياً تعبدياً فحسب، بل هو بناء لغوي وفني محكم تتكامل فيه الموسيقى الداخلية والتركيب النحوية والدلالات الإيمانية والنفسية، ويفترض أيضاً أن التكرار في النص ليس تكراراً عفويّاً أو حشواً لفظياً، بل هو تقنية أسلوبية مقصودة وواعية، تسهم في تنظيم بنية الدعاء



وتوجيه إيقاعه ودلالته، كما ينطلق البحث من فرضية أن صيغ النداء المتعددة، مثل: اللهم، ويا من، وإلهي، تؤدي وظائف صوتية وتركيبية ودلالية في آن واحد، ويفترض كذلك أن بنى الأمر والاستفهام قد خرجت عن معناها المباشر لتؤدي معاني الالتماس والتضرع والتقرير، وأن ثنائية القرب والبعد تمثل مفتاحاً مهماً لفهم التجربة النفسية والروحية في الدعاء.

٥- **منهجية البحث** :- اعتمد البحث المنهج الأسلوبي التحليلي، القائم على رصد الظواهر اللغوية داخل النص وتحليل وظائفها الفنية والدلالية. وقد تم تقسيم الدراسة إلى محورين رئيسيين : الأول هو المستوى الصوتي، وفيه درست ظواهر التكرار، وتكرار الحروف، والسجع، والتجنيس، وما تؤديه من أثر إيقاعي ونفسي وروحي. أما المحور الثاني فهو المستوى التركيبي الدلالي، وفيه درست الجمل الإنشائية، ولا سيما النداء والأمر والاستفهام، مع بيان انزياحاتها الدلالية ووظائفها في سياق أدب الدعاء وخصوصيته اللغوية والأسلوبية، كما اعتمد البحث على التحليل السياقي، إذ لم يتعامل مع الأصوات والتراكيب بوصفها عناصر معزولة، بل بوصفها مكونات فاعلة داخل بنية النص الكلية ومقامه الدعائي .

٦- الدراسات السابقة :-

١. دراسة : المستوى التركيبي في الدعاء القرآني : رائدة علي بور، ومحمد جواد إسماعيل غانمي، ونشرت في مجلة آداب الكوفة، جامعة الكوفة، المجلد ١، العدد ٣٧، ٢٠١٨، ص ١١٥-١٣٠. تناولت هذه الدراسة الدعاء القرآني من زاوية أسلوبية تركيبية، مركزة على الصيغ والجمل وأنواعها، ولا سيما ما يتصل بأساليب الطلب والأمر والنهي والاستفهام. وقد أفاد البحث الحالي منها في تعزيز الجانب الإجرائي الخاص بتحليل البنية التركيبية في نص الدعاء، وبيان أثر الصيغ الإنشائية في تشكيل المعنى الدعائي.

٢. دراسة : البنيات الصوتية التوليدية في دعاء كميل بن زياد : استعراض وتطبيق في ضوء خصائص الأصوات : مينا برزادنيا، ومالك عبد الرسول العبدوي، وزينب مزرعة، ونشرت في مجلة آداب الكوفة، جامعة الكوفة، المجلد ١، العدد ٤٧، ٢٠٢١، ص ٣١-٦٠. عالجت هذه الدراسة دعاء كميل من منظور صوتي أسلوبي، مركزة على دلالات الأصوات، والنبر، والتنغيم، والمقاطع الصوتية، وأثرها في بناء الجو الروحي للنص. وقد أفاد البحث الحالي منها في النظر إلى الصوت بوصفه عنصراً فاعلاً في إنتاج الدلالة، لا مجرد وحدة لغوية معزولة.

٣. دراسة : أسلوب التكرار ومثيراته الدلالية في الصحيفة السجادية : رسول بلاوي، وحيدر فرع شيرازي، ونشرت في مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، العدد ٢٢، ٢٠١٦، ص ١٠٢-١٢٣. درست هذه الدراسة ظاهرة التكرار في أدعية الصحيفة السجادية، وبيّنت أثرها في تشكيل الموسيقى الداخلية وإنتاج الدلالات النفسية والانفعالية داخل النص الدعائي. وقد أفاد البحث الحالي منها في مقارنة التكرار في دعاء الصباح بوصفه تقنية أسلوبية مقصودة تسهم في بناء الإيقاع وتوجيه الدلالة.

وتتفق هذه الدراسات مع البحث في انطلاقها من النص الدعائي بوصفه نصاً قابلاً للتحليل الأسلوبي، غير أن البحث في دعاء الصباح يتميز بتركيزه على نصوص للإمام علي عليه السلام وهو سيد البلغاء والمتكلمين، وجمعه بين المستوى الصوتي والمستوى التركيبي الدلالي للكشف عن خصوصية هذا النص في بناء الإيقاع، وتشكيل المعنى، وتجسيد التجربة الروحية والنفسية للدعاء.

٧- **دعاء الصباح /السياق التعبدي والأسلوبي للنص** :-لئن كان الدعاء مخ العبادة فإن الامام علي ابن ابي طالب هو (الإيمان كله) ولذا كان دعاء أمير المؤمنين وسيد البلغاء والمتكلمين كان (تحت كلام الخالق ، وفوق كلام المخلوق) ولهذا التعالق التكاملي بين الايمان والدعاء وبين القدرة البلاغية المعجزة للإمام علي عليه السلام آيات وتجليات أكثر من ان تحصى وابعد من تعد بشهادة اعدائه وأحبائه ، وليس المقام -هنا- مقام مديح فجل-وجهه الذي كرم- عن ان يبلغه بمدح مادح وهو باب مدينة العلم وسر الله واسمه الأعظم وحجته على خلقه وآيته الكبرى والنبا العظيم واقتبس من الدكتور الشيخ أحمد الوائلي :-



" فلانت اروع اذ تكون مجردا وقد يضر برائع تثمين " ^١

بل ما يعنينا في البحث هو تجليات الروح العلوية بهذا الايمان الكمالي والعلاقة التي تحكم اسرار الدعاء ومناجاته والفكر الذي شكل لب الدعاء وما يحكم هذه الممارسة (المقدسة) من هذا الفكر ومن نكات علمية وعقلية وعقائدية . ولنتحرى كلام أمير المؤمنين لنستجلي اصول الدعاء وآدابه ومفاهيمه ونزيل الابهام الذي تقرضه لغة الامام العليا ونحن اليوم بهذا النأي عن تلك اللغة السامقة الشامخة التي تجلت عبقرية العربية فيها حتى قيل فيها كل ما قيل . ولما كان (الاسلوب هو الرجل) فإن المقاربة الاسلوبية لدعاء الامام علي عليه السلام ودعاء الصباح (نموذجاً) تمكننا من الاقتراب من فكر أمير المؤمنين والافادة من تلك العلاقة المقدسة وما يحكمها من اصول اخلاقية ودينية يملئها جلال تلك الوقفة بين يدي الله سبحانه وتعالى ، ولنتعلم من الامام عليه السلام ولنحاكي علياً في محرابه ووقفته وخطابه الأسمى.

على ان يتم فصل البحث على محورين رئيسيين (محور صوتي ، المحور التركيبي) الدلالي لنسط الضوء من خلالهما على هذا النص الشريف و لنسبر بعض اغواره ولنفهم بعض معانيه ولنتعرف جانباً من اسلوبية الامام علي عليه السلام والله ولي التوفيق .

المبحث الأول: المستوى الصوتي في دعاء الصباح :-

تمهيد: الصوت والإيقاع في النص الدعائي :-

تنسجم هذه المقاربة (المستوى الصوتي) مع " طبيعة المنهج الأسلوبي الذي لا يقف عند حدود الوصف اللغوي الخارجي، بل يسعى إلى الكشف عن العلاقة بين الصياغة والدلالة، وبين الاختيار اللغوي والأثر الجمالي والنفسي والصوتي الذي يتركه النص في المتلقي" ^٢ ومن ثم فإن دراسة دعاء الصباح أسلوبياً تقتضي النظر إليه بوصفه بنية لغوية متكاملة، تتضافر فيها الأصوات والتراكيب والصور البلاغية لإنتاج أثر تعبدي وفني في آن واحد.

ومن خلال المستوى الصوتي نحاول تحليل الأصوات في بنية النص واستراتيجية توظيفها وتجليات المستوى الصوتي (بصفتها -دوال- تمارس نفوذاً في النص يتجسد سمعياً وبصورة فنية) ^٣ تشغل حيزاً من الابداع في البنية الشعرية في النص ، ولاشك أن دراسة المستوى الصوتي لا يتم بأن (ينظر الى الاصوات على أنها وحدات صوتية صغرى -فونيمات - بل التي تشكل بوحد - تركيبية ، صوتية - صغرت أم كبرت ، وقد اتخذت لها موقعا سياقياً) ^٤ . ومن هذا المنطلق سيكون التحليل الصوتي قائماً على نظرية ان الاصوات تكتسب ايجائيتها من خلال السياق وموضوع النص ومناسبتها ولا يمكن بحال من الاحوال دراستها بصورة مستقلة بصفتها (دوال) نفترض فيها ثبوت الدلالة .

ان دعاء الصباح بصفته نصاً روحانياً يحمل هذا البعد الصوتي وبصورة مكثفة بالأخذ بالحسبان ان المنتج على درجة من الوعي باللغة والاحساس والمعرفة لها منقطع النظير ، فالإمام علي عليه السلام المؤسس الأصيل لاولى اللبئات المعرفية الممنهجة لاستكناه اللغة العربية وعلومها ، وليس من الموضوعية اغفال هذه القضية كونها حقيقة ثابتة اتفق عليها دارسو اللغة قديماً وحديثاً ، ومن هنا جاء التكثيف والقصدية التامة والبناء الصوتي المتقن ليصب في صالح النص وليفيض ايجائية ونغماً استطاع ان يعزز مناسبة النص وهي الدعاء الذي يتطلب اجواء ملؤها الهيبة والخضوع والخشوع والندم على ما فرط من الذنوب وسيوضح ذلك جلياً -إن شاء الله- من خلال تتبع هذه الظاهرة الصوتية في النص ، والجدير بالذكر ان هناك توازناً في توظيف الاصوات وإيجائيتها ينساب ويتلون منعطفاً مع انعطافات النص والتغير في الخطاب والحالة النفسية والوجهة التي يقصدها السياق

^١ أحمد الوائلي، إيقاع الفكر، دار الصفوة، بيروت/لبنان، ط١، ١٩٩٣م/١٤١٣هـ، ص ٢١-٢٥.

^٢ صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة/مصر، ١٩٩٨، ص ١١٢-١١٥

^٣ خصائص الأسلوب في شعر العباس ابن الاحنف -رسالة ماجستير (بتصرف) ، فرحان بدري كاظم ، كلية التربية /ابن رشد ، جامعة بغداد، ١٩٩٧: ٢٣ .

^٤ المناجات وادعية الايام عند الامام زين العابدين-عليه السلام- (رسالة ماجستير) ، ادريس طارق حسين ، جامعة بابل-كلية التربية ، ٢٠٠٦: ٢١ .



ففرى غلبة الاصوات المهموسة حيناً والمجهورة اخرى والتكثيف في استخدام السجع مع التغيير للابتعاد عن النمطية وتكرير تكرار احد الحروف المناسبة للمقطع او الجملة وغير ذلك مما يمكن ان يتضح وكالاتي :-

١. التكرار

١.١. التكرار الاستهلاكي بصيغ النداء

التكرار الاستهلاكي :- لا يمكن النظر إلى التكرار " في النص الدعائي بوصفه عودة لفظية مجردة، لأن وظيفته تتجاوز حدود إعادة اللفظ إلى بناء الإيقاع الداخلي، وترسيخ المعنى، وإظهار الحالة النفسية للمتكلم"٥ ولهذا يغدو التكرار في دعاء الصباح تقنية أسلوبية منتجة، تكشف عن حركة النفس بين الافتقار والرجاء، وبين الخشوع والانجذاب إلى مقام الخطاب الإلهي. ويتجسد في النص من خلال استهلال صيغتين أساسيتين هما (صيغة النداء - صيغة الطلب بالدعاء) ومن خلال هذا التكرار تجلت عبقرية الباحث -الإمام علي- عليه السلام، في توزيع النص الى فقرات منسقة ضمن معمار فني غاية في الاتقان غير مهملين ما لهذا التكرار من دلالات على صعيد المستوى الصوتي، ويمكن فهمها واستنتاج تلك القصدية الملهمة والمتفردة من خلال التحاور مع هذا البناء وفق المحطات الآتية :-

١.١.١ امتزاج النداء بالطلب :- استعمال هذا التكرار الاستهلاكي تجسد في محورين يصطبغان بصيغ نحوية (النداء - الطلب) ليمتزج المستوى الصوتي مع المستوى التركيبي في ظاهرة نادرة استطاعت ان تكرر اجواء العجز والحاجة الى الأوبة والرجوع عن الذنوب والندم والعودة الى الله سبحانه وتعالى لاستعطافه طمعا بالتوبة والمغفرة .

٢.١.١ بناء الخريطة الصوتية للنص :- من خلال هذا التكرار إبتنى النص على (خريطة) صوتية ملونة تدفع بالقارئ بعيداً عن اجواء الملل والرتابة، وتخدم الدلالة التي يقدمها السياق وتواكب اختلاف المقام بين المقاطع والفقرات وبتنوع يدل على حرفة نادرة من نوعها .

٣.١.١ أثر تنوع صيغ النداء :- ينسجم هذا التنوع مع التصور الأسلوبي الذي يرى أن خصوصية النص لا تتحدد في المادة اللغوية وحدها، بل في طريقة اختيارها وتوزيعها داخل السياق، فالقيمة الأسلوبية " تنشأ من العدول عن النمط الواحد إلى تنويع الصيغ بحسب المقام والدلالة والأثر النفسي"٦ ومن هنا لا تبدو صيغ النداء في دعاء الصباح صيغاً متجاورة على نحو عفوي، بل تتخذ وظيفة تنظيمية وإيقاعية ودلالية، إذ تمنح كل مقطع نبرته الخاصة، وتكشف عن قدرة النص على تحويل النداء من أداة خطابية إلى بنية أسلوبية فاعلة في تشكيل المعنى.

ان التنوع في صيغ النداء كان له الاثر البالغ في الفسيفساء الصوتية التي يقدمها النص والتي تنطق بانغام وإيحاءات صوتية متنوعة تكشف عن مطاوعة اللغة العربية ورشاقة اساليبها وتمكن الباحث من خلال استعمال هذه المطاوعة. وجاءت اساليب النداء مترتبة وفق المعمار الآتي:-

٤.١.١ النداء بصيغة «اللهم»

النداء ب (اللهم) في استفتاح الدعاء لا لقصد الدعاء فحسب بل للثناء على الله سبحانه وتعالى والاتفات الى ألائه آياته في خلقه وذاته .

اللهم يامن دلح لسان الصباح...

ثم الانتقال الى تركيب يمتزج فيه الطلب (الدعاء) من خلال فعل الأمر -الأمر المجازي- والنداء ب (اللهم) :

صل اللهم على الدليل اليك ...

وافتح اللهم لنا مصاريع الصباح...

والبسني اللهم من افضل خلع...

٥ رسول بلاوي، حيدر فرع شيرازي، "أسلوب التكرار ومثيراته الدلالية في الصحيفة السجادية"، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، العدد ٢٢، العراق، ٢٠١٦، ص ١٢١.

٦ عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٢م، ص ٨٧-٩٠.

وأغرس اللهم بعظمتك ...

وأجر اللهم لهيبتك ...

وأدب اللهم نزق الخرق مني ...

فأصفيح اللهم عما كنت ...

فأجعل اللهم صباحي هذا ...

لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك .

وهنا كان الاستفتاح بـ (اللهم) ثم توسطت صيغة (الامر - اللهم) ثم عاد ليختم استعمال النداء بـ (اللهم) خارجة عن قصد الدعاء والنداء في تراتبية متنوعة ودقيقة للغاية . ولا يفتنا ان هذا التنوع ف استعمال صيغة (اللهم) والصيغ الأخرى كان له الأثر البالغ في تعددية الإيحاء الصوتي والخروج عن الرتابة في استعمال صيغة واحدة يقتصر عليها النص ، كما ان لها دلالات أخرى سنقوم بعرضها لاحقا .

٥.١.١. النداء بصيغة (يا من) :-

أما النداء بصيغة (يا من) فقد ورد في المواضع :-

اللهم يا من دلح لسان الصباح ...

يا من دل على ذاته بذاته ...

يا من قرب من خطرات الظنون ...

يا من أرقدني في مهاد آمنه وأمانه ...

فيا من توحد بالعز والبقاء ...

٦.١.١. النداء بصيغة (إلهي) :-

ومن صيغ النداء الأخرى التي وردت في الدعاء صيغة «إلهي»، وهي صيغة ذات طابع وجداني ظاهر، لما تحمله من معنى القرب والاستعطاف والالتجاء إلى الله تعالى، وقد وردت في مواضع متعددة، منها:

إلهي ان لم تبتدئني الرحمة منك ...

إلهي اتراني ما أتيتك إلا من

إلهي قر عت باب رحمتك ...

إلهي كيف تطرد مسكينا لجأ اليك ...

إلهي هذه ازمة نفسي ...

٧.١.١. النداء بصيغة (يا + صفة) :-

وجاء النداء بحرف النداء (يا + صفة من صفات الله سبحانه وتعالى) :-

يا خير من دعي لكشف الضر

يا كريم يا كريم يا كريم ...

يا ارحم الراحمين

يا غفار يا غفار يا غفار

يا ارحم الراحمين .

٨.١.١. أثر تنوع صيغ النداء في بناء الأنساق الصغرى :-

وعلى هذا يكون النص حاملا في طياته تنوعا (صوتيا - نحويا) لا نصادفه الا بنصوص نادرة جدا وهي الادعية المأثورة عن اهل البيت ، وان التغير في ايقاع النص وشعريته كان لهذا الاسلوب النصيب الاوفر منه، كما اسهم هذا التنوع بتقسيم النص الى انساق (صغرى) داخل النسق الكلي ، ولو حاولنا تتبع هذا التقسيم لتوضيح البناء الداخلي ومناسبة هذه الانساق الصغرى لكشف اسلوب النداء اهميته ولذا نعلم الى - المحاولة - لترتيب هذه الانساق ولبيان هذه الاهمية والدور الذي حققه التنوع في اساليب النداء وكما يأتي :-

٩.١.١. المقاطع النصية المنتظمة بفعل النداء

-المقطع الاول (من اللهم يا من دلح لسان ...بنور تأججه) .



- المقطع الثاني (يامن دل على ذاته بذاته...بيده وسلطانه) .
- المقطع الثالث (صل اللهم على الدليل اليك ...المصطفين الابرار) .
- المقطع الرابع (وافتح اللهم لنا مصاريع ...بأزمة القنوع) .
- المقطع الخامس (إلهي إن لم تتدثني ... حيث النصب والحرمان) .
- المقطع السادس (إلهي أتراني ما أتيتك ... على سيدها ومولاها) .
- المقطع السابع (إلهي قرعت باب رحمتك ... في منقلي ومثواي) .
- المقطع الثامن (إلهي كيف تطرد مسكيننا ...جنابك ساعيا) .
- المقطع التاسع (أم كيف ترد ظمأنا ...ونهاية المأمول) .
- المقطع العاشر (إلهي هذه ازمة نفسي ... لطفك ورأفتك) .
- المقطع الحادي عشر (فأجعل اللهم صباحي هذا ...كل شيء قدير) .
- المقطع الثاني عشر (تولج الليل في النهار ...سبحانك اللهم وبحمدك) .
- المقطع الثالث عشر (من ذا يعرف قدرك ...لغوبا ولا علاجا) .
- المقطع الرابع عشر (فيامن توحد بالعز والبقاء ... وآله اجمعين) .
- المقطع الخامس عشر (إلهي قلبي محجوب ... برحمتك يا أرحم الراحمين) .

١.١.١. مسوغات تقسيم الدعاء إلى أنساق صغرى :-

أما المسوغات التي دفعتني لاعتماد هكذا ترتيب للمقاطع (الانساق الصغرى) فهي فاعلية النداء في تحديد بداية النسق ونهايته ، اذ من خلال تتبع هذه البدايات نلاحظ ان كل مقطع (تقريبا) يبدأ بحرف (نداء) وينتهي حيث يأتي حرف نداء آخر ، وما يثبت هذه الفرضية هو المضمون المراد في كل نسق ونوع الخطاب فيه .

٢.١. تكرار الجمل والعبارات

أما تكرار الجمل والعبارات فلم يرد بكثرة في نص الدعاء ويعزى ذلك الى تنوع المضامين التي بصددتها النص وتصدير كل مقطع من المقاطع بالنداء كان من ضمن الاسباب التي استبعدت (تقنية) تكرار العبارات كي لا يدخل الباث في نمطية التكرار والاغراق به ، وقد التفت الدرس الأسلوبي إلى أن التكرار لا يحضر دائماً بوصفه كثافة لفظية، بل قد يرد بقدر الحاجة التي يفرضها المقام؛ إذ إن العرب، كما يشير يوسف أبو العدوس في عرضه لمفهوم الأسلوب عند ابن قتيبة، " قد يكررون أحياناً لإرادة التوكيد، وقد يخفون حين يقتضي المقام ذلك"^٧ ومن هنا فإن قلة تكرار الجمل والعبارات في دعاء الصباح لا تعني غياب فاعلية التكرار، بل تعني خضوعه لمنطق الانتقاء والتناسب مع تنوع المضامين، ورغم ذلك لا يخلو النص من تكرار لبعض العبارات والتي يمكن اجمالها بالآتي :-

١.٢.١. تكرار النداء بـ (يا كريم) و(يا غفار) :-

- من التكرارات اللافتة تكرار صيغة النداء ذاتها (النداء بـ يا) في مناسبتين وهما
- (... فلا تردني من سني مواهبك خائباً يا كريم يا كريم برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله اجمعين)
- والآخرى (...ويا كاشف الكرب إغفر ذنوبي كلها بحرمة محمد وآل محمد يا غفار يا غفار يا غفار برحمتك يا أرحم الراحمين)
- ونرصد في التكرارين :-

١- في المقطع الاول اقترن النداء (يا كريم) بالكرم بعد ان سبقه (الطمع والرغبة الى مواهب الله تعالى) وهي نكتة بلاغية قيمة حيث النداء بصفة الله (الكريم) لان المقام هو مقام احتياج الى رحمة الله ومغفرته وكرمه .

^٧ يوسف أبو العدوس، الأسلوبية: الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان/الأردن، ط٣، ٢٠٠٧م، ص ٣٥



ثم طلب الرحمة ومن بعد ذلك تأتي الصلاة على (محمد واله) . ولا يخفى ان تكرار صيغة النداء دلالة التوكيد وليبيان مدى الحاجة الى الله والتوق لرحمته ومغفرته فضلا عن الايقاع الذي يضيفه التكرار وكأنه يشير الى قرب انتهاء هذه الوقفة بين يدي الله سبحانه وتعالى ومناسبتها وهي الدعاء لان المقطع جاء في نهاية النص .

٢- بينما نلاحظ ان الباث لجأ الى صفة (الغفار) لان السابق لها (المعصية ، الذنوب) فمناسبة صفة ال (غفار) لمقام طلب المغفرة وليبيان عظم الذنوب التي بصدد طلب غفرانها .

ثم بعد تكرار النداء ب (يا غفار) ثلاث مرات تأتي فقرة التوجه لله تعالى بحمده ويختتمها بالحمد دون الصلاة على محمد وال محمد .

وبالمقارنة مع المقطع الاول الذي اختتم بالصلاة على النبي الاكرم وآله نلاحظ الفرق بين المقطعين ، ولرب سائل يسأل ، لماذا لم يختتم المقطع بالصلاة على محمد وال محمد ، لاسيما انه المقطع الاخير وخاتمة الدعاء؟

وجواب ذلك ان المقطع الاخير والنداء ب (يا غفار) قد سبق (بالتوسل) بمحمد وال محمد مباشرة فإقتضى ذلك ان يختتم بحمد الله تعالى دون الصلاة .

واللطيف ان الباث عندما توسل بمحمد وال محمد لم يصف ال (آل) الى الضمير (الهاء) العائد على النبي بل اضافته الى الاسم الصريح للنبي الاكرم (محمد) فقال :-

(اغفر ذنوبي كلها بحرمة محمد وآل محمد) وبيان علة ذلك هو أن تكرار اسم النبي الذي هو باب الله الذي منه يؤتى مناسب للمقام وهو مقام التوسل ، والوقع الصوتي الذي يضيفه الاسم (الكريم) في السياق والذي هو من اشرف الاسماء وكان الباث يتلذذ بهذا الاسم المبارك .

٢.٢.١. تكرار عبارة «سيدها ومولاها» :-

ومن التكرار الذي ورد في النص تكرار عبارة (سيدها ومولاها) حيث وردت في مقامين هما :-
(... وتبأ لها لجرأتها على سيدها ومولاها)

(...وأقلني من صرعة رداي ،فإنك سيدي ومولاي)

ونلاحظ ان في المقطع الاول قد أضاف (سيد) الى الضمير (الهاء)العائد على النفس ، ومولاها ايضا . وكأن الباث يتبرأ من هذه النفس التي (امتطت هواها) فهو لا ينسبها الى ياء المتكلم فيقول (سيدي ومولاي) لأنها نفس غير مشرفة لما اجترحت من المعاصي وهي النفس الأمارة بالسوء حيث المقام يفصح عن ايغالها في الخطيئة.

كما ان اضافتها الى (سيدها ومولاها) فيه وعيد وتعظيم لما اقترفته من الذنوب !!! .
بينما المقطع الثاني (فإنك سيدي ومولاي) فهو مقام توسل ولجوء الى الله حيث يقرع الباث باب الله بيد الرجاء ويستحثه ويطلب تعاطفه معه من خلال نسبتها الى الضمير (الياء) .

٣.١. تكرار الألفاظ والأنساق المعجمية :-

في النص تكررت بعض الكلمات بشكل كبير ومرد ذلك الى جملة من الأسباب منها مناسبتها للمقام فضلا عن وظيفتها الصوتية ولعلنا نستطيع ان نرصد حزمة من التكرارات المقصودة والتي لها الاثر البالغ في ترسيخ موضوع الدعاء ومناسبة سياقها الذي ذكرت به ، ومن الجدير بالذكر اننا لاحظنا تكرار لنوع أو نمط معين من الكلمات شكل انساقا معجمية يمكن جمعها ضمن حزم واحدة و وفق الترتيب الآتي :-

١.٣.١. النسق المعجمي الدال على القدرة وكمال الخلق :-

جاءت مناسبة الدعاء وبالتالي الفاظه متفقة مع عنوانه (دعاء الصباح) ومنسجمة ومتلاحمة تلاحما واضحا مع قضية كبرى اراد الباث ان تكون الأس الذي ينطلق منه لمباشرة الدعاء وهو الاشارة بصفة ضمنية مرة ، واخرى مباشرة الى عظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته وكمال خلقه وآلائه لتشكل نسقا اساسيا ضمن موضوع الدعاء ولتكن تلك المقاربة لقدرة الله شفيعه والمنصة التي ينطلق منها لنوال المغفرة والتوبة وليبيان ندمه عما فرط منه من الذنوب والتي ناء بها كاهله وضاق بها فضائه فلم يجد سوى الله سبحانه وتعالى غفارا وتوابا وكريما يقدم القبول وتفتح عنده مصاريع التوبة عن كنف لا يرد الطالب ولا يخيب السائل .



ومن هنا نرصد جملة من المعاني والافكار التي يمكن تسميتها ب (العلمية) والتي ترصد دقة خلق هذا الكون والافلاك والكواكب التي تسير فيه ضمن مسارات وافلاك وتعاقب الليل والنهار والكثير من هذه المعاني التي تفصح عن عبقرية وفكر فذ للإمام علي عليه السلام وهو القائل (سلوني عن طرق السماوات فأنا اعلم بها من طرق الارض) .

وربما كانت هذه الافكار والمعاني هي الحجاج العقلي الذي يبرر الوقوف على باب الله تعالى لطلب المغفرة منه وهو اهل المغفرة والرحمة . وبالتالي نشير الى هذه الالفاظ لإضاءة تلك المساحة من الابداع في اسلوب الباث ومن خلال الآتي :-

١.٣.٢. لفظة «الصباح» ومشتقاتها :- كلمة الصباح ومشتقاتها ومرادفاتها :- تكررت في العنوان (دعاء الصباح) وفي افتتاح الدعاء (اللهم يامن دلح لسان الصباح بنطق تبلجه) وقوله (وافتح اللهم لنا مصاريع الصباح) وقوله (فاجعل اللهم صباحي هذا) ومن الوقوف على هذه العبارات نلاحظ ان كلمة الصباح عنوانا تحمل بعدا صوتيا من خلال تجنب استخدام كلمة صبح والعدول عنها الى كلمة الصباح التي تزيدها حروفا من خلال (حرف الالف) والذي هو من حروف العلة والمد .
ومن المعلوم أن كلمة (الصباح) تختلف دلاليا عن كلمة (صبح) وقد جاء العنوان منحازا ل (الصباح) لمسوغات يمكن اجمالها بالآتي :-

أ- ما يتعلق بدلالة الكلمة فهي هنا مختلفة لأن الزيادة في المبنى هي زيادة في المعنى وتفسير ذلك من خلال الرجوع الى المعاجم نجد ان الصبح هو الفترة الزمنية الممتدة من الفجر وحتى طلوع الشمس ، أما الصباح فيزيد عليه بالوقت ليشتمل على الفترة الممتدة من طلوع الشمس وحتى الضحى وبذلك فالدعاء هو دعاء (للصبح) بفترة الزمنية الممتدة من طلوع الفجر وحتى وقت الضحى .

ب- الدلالة الصوتية التي هي هنا حاضرة وبقوة كون حرف الالف في كلمة (الصباح) يحمل بعدا صوتيا من خلال صفة (المد) التي يمتاز بها وهذا الامتداد ينعكس على النص ويشي به ليضيف الى الدعاء اجواء تكرر حالة الحزن والبوح من الإثقال التي أثقلت النفس المذنبة والبعد الصوتي وامتداده وامتداد تلك الوقفة يتوافق مع ذلك البعد ويهيئ تلك الاجواء لأطلاق هذه الشحنة من الارهاق والصراع النفسي من خلال مد الصوت عند النطق به ، ومن خلال اضاءة استطالة النطق بالألف على (النسق الكلي) الذي يشعر القارئ بطول الوقفة المنتظرة في الدنيا والآخرة في يوم الحساب .

فالواقف هنا (الانسان) الخطاء والراغب برحمة الله والطامح الى المغفرة من خلال اعلان التوبة عن ذنوبه التي ارهقته . والواقف طلبا لأنعم الله والطامح بعطاياه في الدنيا رزقا يساق اليه دونما نصب ، وفي الآخرة جنة عرضها السماوات والأرض . ومن خلال فهم العنوان بوصفه عتبة تفضي الى النص وتوازيه في مضامينه واشكاله بصورة مكثفة ، كان لإيحائية حرف الألف دورا في ايصال طول الوقوف على باب الله سبحانه وتعالى (خوفا وطمعا) .

ولا يخفى أن عنوان الدعاء بهذا العنوان (دعاء الصباح) يوحي الى المتلقي بحالة التجدد في الزمن وابتداء نهار جديد ويغري باستهلاله بالطاعات وخيرها الدعاء ويذكر الانسان بعلل وجوده و اسرار النعم التي يسوقها الله جل وعلى وهو القائل (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وقال تعالى (وقل ادعوني استجب لكم) وقال تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان) فاستحضار المعاني القرآنية التي تدفع الانسان باتجاه تحقيق غائية الخلق وهي العبادة بالدعاء او غيره من سائر العبادات الاخرى .

ثم انتهاز هذه الفرصة التي من الله بها على الانسان لمباشرة العمل والسياسة في طلب الرزق في وقته المعين له ، قال تعالى (وجعلنا الليل سباتا وجعلنا النهار معاشا) ومثل هذا المعنى الكثير من الآيات الكريمة التي تناولت وظيفة التعاقب الزمني لليل والنهار وآيات الله في هذا التعاقب كقوله تعالى (الله يتوفى الانفس) ، حيث أن قنوم صباح جديد مع تمام العافية والبعد عن المعاصي لاشك انه خطوة ومنة تستحق العودة الى الله بعد المعصية وهذا واضح وجلي في سياق الدعاء كما سنوضح لاحقا .



٣.٣.١. الألفاظ الكونية والفلكية :-ومن الألفاظ التي انضمت الى حزمة الألفاظ التي اصطلاحنا على تسميتها بالعلمية أو (الفلكية) والتي تشير الى ظواهر تعاقب الليل والنهار وخواصهما جاء-كما اسلفنا- النص متخما بها وللوقوف عليها نذكرها بشكل اجمالي

(دلع لسان الصباح بنطق تبلجه) هنا نرى الصباح يخرج لسانه لينطق بالبلج وهو الضوء .
(سرح قطع الليل المظلم بغياهب تلجلجه) وهنا يسرح الله سبحانه وتعالى اي يرسل الليل الذي يشبه قطعان الماشية يخفيه مع ظلماته التي تتردد ضمن مواعيد ومواقيت معينة .ثم جاءت لفظة الفلك المضافة الى الدوار (الفلك الدوار) وهنا اشارة الى الافلاك والكواكب التي تدور في مدارات معينة . وفي (شعشع ضياء الشمس بنور تأججه) مد الله الضياء في الشمس وجعلها متأججة لاهبة كالنيران وهي اشارة الى ان الشمس هو كوكب مشتل .

ثم انتقل الى الصلاة على النبي الاكرم محمد ص وآله (صل اللهم على الدليل اليك في الليل الأليل) واستخدام الدليل لان الليل هنا هو - ليل الأليل- باستعمال صيغة المبالغة (افعل) اي شديد الظلام لا يقطعه الا العارف ولا يعرفه الا الدليل وهي استعارة الى ان الدليل هو النبي الاكرم والليل هنا هي ظلمات الكفر والشرك والمعاصي . ويقف الباث ليسأل ويرتجي الله تعالى ان يكون الصباح بشير خير ورضا وطاعات (افتح اللهم لنا مصاريع الصباح) المصاريع هي الابواب وهي استعارة يصف بها الدخول الى الصباح بعد انقضاء الليل وتسريحه . (فاجعل اللهم صباحي هذا) وهنا تتكرر لفظة الصباح ايضا.(نازلا علي بضياء الهدى) فطريق الحق منير دائما بالضياء .

(ومسائي جنة من كيد العدا) وطلب من الله ان يكون المساء المظلم امنا وجنة من كيد الاعداء الذين يتربصون بالإنسان في الليل متخذين من ظلامه سترا للتخفي والكيد للناس .

(تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل) وهنا اشارة واضحة وصريحة الى تداخل الليل والنهار وتعاقبهما بعد ان ذكر السبب في مطلع الدعاء (الفلك الدوار) فدوران الافلاك ينتج عنه هذا التعقب والارض واحدة من هذه الافلاك والكواكب السيارة .

(وأنرت بكرمك دياجي الغسق) اي انرت ظلمة اول فترات الليل وهنا الكرم اشارة الى مايجود به الله سبحانه من الات يستعين بها الانسان وتسخيرها له .

(وجعلت الشمس والقمر للبرية سراجا وهاجا) وهنا اشارة الى فوائد الشمس والقمر ونعتهما بالسراج لكون يضيء في ذاته وهي صفة الشمس قال تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا) وغلب السراج على القمر لان ضوءه من الشمس .وكل هذه الألفاظ تتفق في كونها تعالج موضوعتي (الضوء والظلام- حركة الكواكب وما ينتج عنها) .

٤.١. تكرار الحروف وإيحاءاتها الصوتية :-

إن البنية الإيقاعية للحروف في دعاء الصباح تتضح من خلال توظيف حرف من الحروف لتكريس دلالة معينة داخل النص وفي فاصلة معينة . ومن خلال الموسيقى التكرارية التي تنسجم مع الألفاظ والتراكيب وما تؤديه من إيحاء صوتي معين يكرس تجربة النص ويحقق اهدافه في اشاعة اجواء الاحساس بالهيبة والخشوع واطهار الندم على الذنوب التي ارتكبتها النفس الامار بالسوء مما يحقق ابداعية النص والنجاح في استراتيجية الاختيار والتوزيع) في مجمل الدعاء دون استثناء ، وكان للكلمات التي تنطوي على حرف معين يخدم السياق دورا في ايصال تلك الإيحائية ، ونستطيع تتبع هكذا انماط من التوظيف توزعت على الدعاء لتحقيق غايتها في السياق ومن اهمها :-

١.٤.١. تكرار حرف اللام :- (صل اللهم على الدليل اليك في الليل الأليل) وفي هذه الفاصلة كان حرف اللام موزعا بصورة مكثفة وبتكرار تراتيبي استطاع ان يخدم السياق وهو اضاء (اللحمة والانتصاق)^١ من خلال

^١ ينظر /حسن عباس ،خصائص الحروف العربية ومعانيها، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨، ص ٧٠-٧١-٧٢.

كونه احد الحروف الذوقية التي توحى بالتماسك ف(الدليل) هنا كان سببا الى التمام شمل العرب بعد ان كانوا متفرقين قبل مجيء الاسلام ورسالة النبي المصطفى محمد ص واله .

١.٤.٢. تكرار حرف الحاء :- (وافتح اللهم مصاريع الصباح بمفاتيح الرحمة والفلاح) تكرار حرف الحاء وهو حرف من حروف الحلق ومن صفاته الهمس كما يوحي (بالرقعة) والسكون وافاد استخدامه في السياق الانتقال من حالة السكون في الليل الى انفتاح النهار والانتشار في لطلب الرزق لذا نجده قد تكرر في اغلب الكلمات في الفقرة (افتح-الصباح-مفاتيح-الرحمة-الفلاح) .

١.٤.٣. تكرار حرف الهاء :- (فبئس المطية التي امتطت نفسي من هواها ، فواها لها لما سولت لها ظنونها ومناها ، وتبا لها لجرأتها على سيدها ومولاها) يتكرر حرف (الهاء) بصورة مكثفة جدا ودلالة الهاء الهدم والهلاك وتغلب النفس الامارة بالسوء وتكرارها بالفقرة كان موفقا في تكريس حالة الضياع لمن ركب هواه وامتنى شهوته لتقوده حيث المعصية .

٢. السجع وتشكيل الإيقاع الداخلي :- اما السجع فقد كان سمة وعلامة بارزة لم يخل منها مقطع من مقاطع الدعاء ، بل كان حاضر وبقوة و وضوح ليشكل ظاهرة صوتية وايقاعية كان لها اثر في اضاء الروحانية والخشوع على الدعاء .

وقد توزع كما اسلفنا على كل الفقرات و وفق المعمار الآتي :-

١.٢. السجع المتوازي :- ويكثر استعماله في الدعاء وذلك لأن (هذا الضرب من السجع يتطلب مهارة في الانتقاء وتفننا في التركيب ، علاوة على ما يعكسه من متانة الرصيد اللغوي لصاحبه)^٩

ومن امثلة هذا السجع في الدعاء

المقطع ١/تبلجه-تلجلجه-تبرجه -تأججه

المقطع ٢/الظنون-العيون-يكون

المقطع ٣/الليل-الاطول-الاعبل-الاول

المقطع ٤/خشوع -قنوع

وهكذا في بقية مقاطع الدعاء .

٢.٢. السجع المطرف :-ومن امثلته :-

ظنونها-مناها-سيدها-مولاها

هاربا-ساعيا

يخافك-يهابك

الضر-عسر-يسر

٣.٢. التجنيس والتقارب الصوتي :-

اما التجنيس فقد ورد كثيرا في النص ومثاله التجنيس المضارع في :-

(كف اكف/ ذاته بذاته / امنه امانه / ليل الليل) .

المبحث الثاني: المستوى التركيبي- الدلالي في دعاء الصباح :-

تمهيد: التركيب والدلالة في النص الدعائي :

إن تحليل المستوى التركيبي الدلالي لأي نص من النصوص يشتغل على مستوى التركيب والدلالة في آن واحد فهو يعنى بأمرين غاية في الاهمية عند الحكم على الجملة ، اولهما ان يكون الحكم وفقا لقواعد وقوانين تكوين الجملة نحويا والثاني هو المضمون الذي تشير اليه كلمات الجملة . والفارق في الاسلوب هو اختلاف التركيب مع اتفاق الدلالة وهو ما يميز الحدود الفاصلة بين هذا الاسلوب او ذاك .

^٩ المناجات وادعية الايام عند الامام زين العابدين عليه السلام (رسالة ماجستير) ، د إدريس طارق حسين ، جامعة بابل ٢٠٠٦، ص ٤٤ .



والدعاء ذلك النوع من النصوص الذي تكون ثيمته الاساسية هي الطلب من الله سبحانه وتعالى وتتحدد تلك الوظيفة من خلال تكريس الدلالات المناسبة لها واستخدام التراكيب التي تعالج موضوعة الطلب في النحو العربي بطبيعة الحال .

غير ان هذا لا يفي النزوع الى استعمال بنى تركيبية اخرى (الشرط - الاستفهام) في النص وتوظيفها من خلال الانزياحات لتلائم موضوعة الدعاء ، كما ان هناك جوانب فكرية يشتمل عليها الدعاء بصفة دورية وهي حمد الله تعالى وتسبيحه وتعظيمه والثناء عليه بما هو اهله ، ومن هنا جاء التنوع في التركيب في بنية الدعاء عامة وفي دعاء الصباح الذي هو موضوعة البحث خاصة .

وتتميز البنية التركيبية (باتصالها بأساليب بنائية تسهم في بناء الجملة اللغوية النحوية التي تتضح منها افادة الكلام عبر وظيفتها الايصالية اولا ومن ثم فهي بمثابة الممر الذي يحدث من خلاله الانزياح الى الوظائف التعبيرية الادبية . إذ تعد بنية الطلب بنية محايدة تهيأ للأشكال المختلفة للتحويل بالانتقال من الاصل الى العدول)^{١٠}.

والملاحظ في الدعاء غلبة الجملة الانشائية والجملة الشرطية فيه وسنقوم بدراستهما وفق التصور الاتي :-

الجملة الإنشائية وبنية النداء:-

احتل النداء وهو من _الجملة الانشائية - المكانة الاساسية في نص دعاء الصباح وهو الثيمة الغالبة عليه كما اسلفنا ، وكان التنوع في صيغه ظاهرة واضحة متجلية استطاع الامام علي ان يشكلها بامكاناته الاستثنائية لتضفي على الدعاء تنوعا نادر الوجود ، ولتخدم كل المعاني التي يفصح عنها النص ولاسيما التعظيم والتوقير والحمد والثناء على الذات الإلهية لمنها التي لا تعد ولا تحصى .

ولا يفوتني ان اشير الى قضية كبرى وجوهرية كانت حاضرة في النص وهي حالة من الاستنفار والندم الشديد البادية في النص والشكوى من كثرة الذنوب واتباع الهوى وارتكاب المعاصي وامتطاء الهوى والنزوع مع شهوات النفس الامارة بالسوء والاحساس بالبعد عن الله سبحانه وتعالى والدخول في دائرة المعصية . ومثل هذه الظاهرة ليست بالغريبة عن ادب الدعاء فهي متوارثة في الادعية وسمة طاغية عليها ، ولكن من الاهمية بمكان معرفة ان -الخطاب- في الدعاء ونص الدعاء هو خطاب ايجابي موجه الى جمهور المسلمين ولا يعبر عن -الذات- بل يتجاوز افاق الفردانية الى الاحساس الجمعي و هموم الناس والمسلمين ويفصح عن مكونات صدورهم التي تشكو من النفس والمزلق التي تدفع المسلم اليها و وساوس الشيطان الذي ينزغ بالمعاصي ويحض الناس عليها .

اذا الاعترافات وردت على لسان براء منها وهذا ليس بالخفي بل هو معروف عن الامام علي انه اشد الناس بعدا عن الدنيا _وهو الذي طلقها_ واكثرهم لله قربا وطاعة وتقديسا ، فهو حينما ينطلق الى الدعاء فهو يشعر بأثقال النفوس المثقلة بالذنوب لا لتقصيره بل لاحساسه بتلك المسؤولية الكبرى التي تملئها عليها تصديه للقيادة الدينية والدينية .

انه الانموذج الذي يتصاغر امام الله عز وجل ولا يعفي نفسه بل لايزكي النفس الا بارئها ومن هنا جاءت تلك الاعترافات التي تشي بذنوب عظام هو منها براء .

صيغ النداء ووظائفها الدلالية :-

النداء ب (يا) :- جاء افتتاح الدعاء بكلمة (اللهم) التي تستعمل لتدل على (التضرع) ثم اتبعت بإسلوب النداء بحرف النداء (يا) ، ويحمل حرف النداء (يا) دلالة النداء للقريب والبعيد ، ولم يرد النداء في القرآن الكريم الا به .

^{١٠} ينظر: صلاح فضل، *علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته* (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨)، ١١٢-١١٥؛ وينظر أيضاً: عبد السلام المسدي، *الأسلوبية والأسلوب* (تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٢)، ٨٧-٩٠.



ان استعمال حرف النداء (يا) يشير الى حالة نفسية تشي بالاحساس بالبعد عن الله عز وجل مبرره ارتكاب الذنوب وفي نفس المقام تشير الى قرب الله سبحانه وتعالى من خلقه وهو القائل (واذا سالك عبادي عني فإني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان) .

ثم تتمثل هذه الحالة بشواهدا من الدعاء حيث نلاحظ البعد والقرب بتجليان بوضوح ومباشرة مرة وبالإشارة أخرى مما يملئ علي تناول الموضوعتين بمقاربة (تركيبية -معجمية) تزيل ضبابية ربما تكتنف القاريء لأول وهلة :-

موضوع القرب و البعد الصريح :- لو حاولنا الحفر في انساق الدعاء لاحصاء المواضع التي وردت بها دلالة القرب والبعد لوجدنا انها كثيرة ولا بد من الوقوف عليها لتحليلها بما يتلاءم مع السياق الذي وردت به ولمعرفة الاشارات التي تنطوي عليها ، ومن ابرزها ما يأتي :-

١- قوله -عليه السلام- (يامن قرب من خطرات الظنون وبعد عن لحظات العيون)

وهنا نلاحظ القرب من خطرات الظنون فهو (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) فلا تدركه العيون ولا البصر بل يعرف بالبصيرة النافذة . والظنون هنا هي اليقين وليس الشك لتعالیه عن الشك فهو اليقين الحتمي الراسخ في قلوب المؤمنين وهو القائل (الذين يظنون انهم ملاقوا الله) اي يوقنون بهذا اللقاء وحتميته .

٢- وقوله (صل على الدليل اليك في الليل الأليل ، والماسك من اسبابك بحبل الشرف الاطول) في اشارة الى ان الله تعالى جعل النبي المصطفى هو الدليل اليه في غمرات الضلالة ، فهو الذي يمسك بالأسباب المؤدية الى الله تعالى ، قال تعالى (واعتصموا بحبل الله) والاسباب في الدعاء هي الحبل في الآية الكريمة .

والدليل هنا ممسك بها وهي طوع ارادته دون شك ولا ريب لما اختاره الله تعالى للرسالة ولقريب مقامه منه جل وعلى (فكان قاب قوسين او ادنى) .

فالباث هنا يشير الى الاحتياج الى الدليل والدليل ممسك بالاسباب.

ولكن بالعودة الى نص الدعاء نجد ان حالة الدليل هي اليقين من اسبابه فهو (ممسك) بها وهي رهن اشارته .

اما حالة المستدل -الباث- فهي مختلفة تماما (وعلقت باطراف حبالك انامل ولائي) فهو متعلق بالحبال فقط دون الاسباب ، وهو بيان واضح للبعد النفسي عن الله سبحانه وتعالى والشعور به ، ويثبت ذلك مقصدية اختيار (الأنامل) وهي اطراف الاصابع .

٣- وقوله (إن لم تبتدئني الرحمة منك بحسن التوفيق فمن السالك بي اليك في واضح الطريق) والسياق هنا يصرح بحالة من الترقب لرحمة الله التي هي التي تسلك به الطريق المؤدية الى رضا الله ومغفرته ورحمته ، قال تعالى (ومن يهدي من اضل الله) .

٤- قوله (إلهي اتراني ما اتيتك الا من حيث الآمال) ويصرح هنا بالإتيان والرجوع ولا يأتي الا المبتعد فهو يشعر بمغبة الذنوب التي صنعت هذه المسافة بينه وبين الله جل وعلا .

٥- وقوله (وهربت اليك لاجئا من فرط اهوائي) يثبت ما ادعينا من ان الاتيان والمجيء بعد ان (باعدتني ذنوبي عن دار الوصال) فهي عودة التائب الأمل المرتجي مغفرة الله ورحمته وقبوله .

ولو اردنا ان نحصي بقية الاشارات لكان من العسير الوقوف عليها في هذه العجالة لان الدعاء وموضوعه ينصب في هذه الثنائيات المتوالية والتي بعضها سبب من البعض الآخر ومنها

البعد والقرب----المعصية والطاعة

طريق الله-----العثرات وكبوات الهوى

وغيرها الكثير مما يجسد حالة نفسية متوترة تفصح عن معادلة التوتر التي يمكن تلخيصها ب

اتباع الهوى والنفس الامارة بالسوء والصراع النفسي بعد الشعور بالذنب والحاجة الى الاوبة والرجوع الى الله واللجوء اليه) ولا اكون بعيدا عن الصواب حينما ازمع ان جل الانساق تعالج هذه اللحظة الازلية من الصراع

وأدعم زعمي بالشواهد :-

أ- طلبه للهداية (والبسني اللهم من افضل خلع الهداية والصلاح)

ب- طلبه الثبات في الخشوع (واغرس اللهم بعظمتك في شربي جناني ينابيع الخشوع) .



ج- طلبه التأدب من الخرق والنزق (وأدب اللهم نزق الخرق مني)
د- طلبه السلوك الى الله (فمن السالك بي اليك في واضح الطريق)
ثم تأتي التجاذبات في اوج ظهورها متفقة مع موضوعة القرب والبعد الخفي :-
موضوع القرب والبعد الخفي وموضوعة (التجاذبات النفسية) :-
استعانته بالدليل و وصفه ليقين الدليل كما اسلفنا (الماسك من اسبابك ...) .
(وان خذلني نصرك عند محاربة النفس والشيطان فقد وكلني خذلانك الى حيث النصب والحرمان) حيث هنا
تعالج البعد المكاني في اشارة الى البعد المعنوي التي تنتهي به المعاصي والنأي عن الله سبحانه وتعالى .
تكرار موضوعة الهروب من الذنوب في مناسبتين (وهربت اليك لاجئاً من فرط اهوائي) -(إلهي كيف تطرد
مسكيناً لجا اليك من الذنوب هارباً) .
تكرار الوقوف على باب الله في مناسبتين (قرعت باب رحمتك بيدي رجائي) _ (بابك مفتوح للطلب والوغل).
تكرار التعلق باطراف الحبال وانواعه واسبابه :-
تكرر التعلق باطراف الحبال في مناسبتين -(علقت باطراف حبالك الا حين باعدتني ذنوبي) وقوله (وعلقت
باطراف حبالك انامل ولائي) .
وتكرار ل (أزمة النفس) في مناسبتين:-
-(و ادب اللهم نزق الخرق مني بأزمة القنوع) والأزمة جمع زمام وهي مقود الدابة .
-(إلهي هذه ازمة نفسي علقتها بعقال مشيئتكَ) .
والموضعين يشيران الى حال خوف وخشية من الانفلات باتجاه اهواء النفس والميل حيث تستدرج لذا نرى
الباث يرسخ هذا التجاذب بين نفسين هما
النفس الامارة بالسوء
النفس اللوامة والراضية والراغبة الى الله .
النداء بـ (يا من) :-
وورد النداء بـ (يا +من /هنا اسم موصول) في النص في خمسة مواضع بهذه الصيغة فلم يتم ذكر لفظ الجلالة
بعد (يا) النداء وذلك لتهيئة جو التوقع الى معرفة المنادى ولاعترازه به ليلحق النداء بالافعال التي تدل على
عظمة المنادى غالباً .
ويمكن مقارنة هذه الصيغ والكشف عن ما تضمنه التركيب من دلالات من خلال معالجة كل موضع من
المواضع بشكل مستقل .
-المقطع الاول (اللهم يامن دل على لسان الصباح بنور تأججه) . والنسق يتكلم عن آيات الله في الكون وبديع
خلقه وهو استفتاح يليق بمناسبة الدعاء وبيان منزلة المقصود بالدعاء .
-المقطع الثاني (يا من دل على ذاته بذاته ...كيفية) ويمثل نسق مستقل عن سابقه ومن خلاله يقف الباث على
اسرار الذات الإلهية في اشارة الى عظمة الله في ذاته والتي تتجلى بعد ان سبقها بالوقوف على عظمتها وتجلياتها
في مخلوقاته والتي لا تشبهه في شيء ولا تجانسه او تماثله او تشاكله .
-المقطع الثالث (يامن قرب من خطرات قبل ان يكون) في اشارة الى قوله تعالى (لاتدركه الابصار وهو
يدرك الابصار) .
-المقطع الرابع (يامن ارقدني في مهاد ...بيده وسلطانه) وفي المقطع اشارة الى نعم الله في ما يخص الصباح
والمساء واليقظة والرقاد وهو القائل (لَئِنْ يَتُوفَى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى
عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فالنائم متوفى الى اجل وأجله
ينتهي بالاستيقاظ من نومه وعودة الروح الى البدن ، وهو في صحوته ضعيف ومحتاج الى الله فكيف الحال في
منامه ؟



هو الله احوج لانه مسلوب الارادة لا يعدو ان يكون جسدا ملقى دون حول ولا قوة وان من يدفع اكفا بالسوء مبادرة عنه في منامه انما هو الله سبحانه وتعالى وهي من اياته ونعمه فالانسان في حال المنام اضعف عن رد حتى (الحشرات) ولولا العلل والاسباب المشار اليها في الفقرة ضمينا لهلك الانسان في نومه .
وهنا نرصد تناسب وعلاقة واضحة بين الدعاء بصفته نسقا كلي وبين الفقرة التي تعالج حيثيات في موضوع الدعاء وهو الصباح .

-المقطع الخامس (فيا من توحّد بالعز والبقاء ...) والفقرة تسبق الطلب فيقتضى السياق ان يسبق الطلب بحمد الله والثناء عليه .

الدعاء بـ (يا + صفة):- وفيه يعتمد الباث الى النداء منطلقا من حرف النداء واحدى صفات الله تعالى مما يناسب المقام كما اسلفنا ، ونرصد هذه الصيغة في اكثر من موضع من الدعاء ، (بك انزلت حاجتي فلا تردني من سني مواهبك خائبا يا كريم يا كريم ف(كريم) صفة مشبهة على وزن (فعيل) تدل على الثبات ، والكرم هو مبرر الطمع في (المواهب) .

وفي قول الباث (اغفر ذنوبي كلها بحرمة محمد وال محمد يا غفار يا غفار يا غفار) وهنا المنادى صيغة المبالغة على وزن (فعال) لان الذنوب سبق طلب الغفران الذي يقتضي التوجه به الى من يغفر دونما تردد .
وفي الدعاء ايضا (ياخير من دعي لكشف الضر)

(يا ارحم الراحمين)

(يا ستار العيوب ويا علام الغيوب ويا كاشف الكروب)

الدعاء بـ (إلهي) :-

واصل التركيب (يا إلهي) فحذفت اداة النداء ليبقى المنادى المضاف الى ياء المتكلم ، ونسبته الى ياء المتكلم فيها شيء من الاستعطاف والاسترحام والتقرب الى الله وبوادر صدق النية والتوبة النصوح .

بنية الأمر وانزياحها الى الدعاء والالتماس:-

ورد الدعاء بصيغة الامر فهنا يحدث الانزياح لان مقتضى التركيب ان يصدر الأمر من الرتبة العليا الى الرتبة الادنى ، اما في الدعاء بصيغة الامر فهو ينزاح في التخاطب بين طرفي الطلب فيكون من الرتبة الادنى الى الرتبة الاعلى فلا يصح ان يسمى في هذه الحالة بـ (الامر) بل يخرج الى الالتماس والدعاء .
ومن امثلة هذا الانزياح في الدعاء

-افتح اللهم مصاريع الصباح

-والبسني اللهم من افضل خلع الهداية والصلاح

-اغرس اللهم في شرب جناني ينابيع الخشوع

-فاصفح اللهم عما كان اجرمته من زلي وخطائي

-اغفر ذنوبي كلها ...

٣. بنية الاستفهام والشرط ووظائفهما التقريرية :-

نلاحظ ان الاستفهام بطبيعته هو الاستخبار عما يجهله السائل فيبحث عن اجابة له ، وهو ما يصطلح عليه النحاة بالاستفهام الحقيقي الذي يرمي الى استكمال عملية الاخبار والحصول على الاجابة ، وقد ينزاح الاستفهام الى اغراض تحمل دلالات ابعد من البحث عن الاجابات وتترك اثرا ايحائيا نستطيع ان نلامسه من خلال الفهم الكلي لموضوع الدعاء وآدابه المتبعة وإجراءاته سيما في ادعية من هذا النوع المأثور عن أئمة ال البيت وخصوصية كون الباث هو الامام علي عليه السلام .



ويمكن ان نرصد في النص ثلاثة اشكال بارزة من الاستفهام التقريري المجازي والاستفهام التقريري (أن تقرر المخاطب بشيء ثبت عنده لكنك تخرج من هذا التقرير بصورة الاستفهام، ذلك انه واقع في النفس، وأدل على الالتزام)^{١١} :-

وقد تجسدت بنية الاستفهام التقريري في الاشكال الآتية :-

١- ان يكون جوابا لفعل الشرط ، وقد كان اسم الاستفهام هو (من) واستخدم مرتين (إلهي ان لم تتبدأني الرحمة منك بحسن التوفيق ، فمن السالك بي اليك في واضح الطريق)(وان اسلمتني اناتك لقائد الامل والمنى ، فمن المقليل عثراتي من كبوات الهوى) وهنا يمتزج الشرط بالاستفهام وهي تقنية غاية في الاجادة والبراعة وتظهر فيها عبقرية التوظيف والتمكن التام المبهر من ادوات اللغة .

وتظهر اجلى صور المفارقة المقترنة بمعرفة المستفهم للإجابات مسبقا فهو يسأل عما يعلم ويعرف ولكنه دوافعه النفسية تملي عليه اساليبه وتتراوح باتجاه خدمة الغرض الاساس في النسق الجزئي والكلي .

٢- الاستفهام بحرف الاستفهام الهمزة (إلهي أتراني ما أتيتك الا من حيث الامل أم علقت باطراف حبالك الا حين باعدتني ذنوبي عن دار الوصال)، والامام هنا يسأل عن (اسبابه هو) التي دفعت به الى المجيء الى الله تعالى بعد ان تباعدت به الذنوب عن نوال الوصال .

فهو عارف وموقن بهذه الاسباب الا انه يعالج قضية تحمل خصوصية المقصود بالاستفهام وهو الله عز وجل الذي (يعلمون ما تبدون وما كنتم تكتمون) (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)

٣- الاستفهام ب (كيف) وهو اسم استفهام للسؤال عن الكيفيات او الحال حيث يقول الامام عليه السلام (إلهي كيف تطرد مسكينا لجأ اليك من الذنوب هاربا ، أم كيف تخيب مسترشدا قصد الى جنابك ساعيا ، أم كيف تطرد ظمأنا ورد الى حياضك شاربا، كلا وحياضك مترعة في ضنك المحول ...) واللطيف ان ثقة الباحث بقبول الدعاء وكرامته على الله تعالى وايمانه بلطفه تملي عليه ان يكون هو السائل والمجيب فيجيب (كلا وحياضك مترعة في ضنك المحول وبابك مفتوح للطلب والوغل) .

الخاتمة والنتائج :-

لا شك أن وقوفنا على عتبات دعاء الصباح للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ومحاولة الغوص في أعماقه الأسلوبية، يكشف عن بحر زاخر بالأسرار البلاغية والنفسية التي لا تتضب. ولقد أفضت المقاربة التحليلية للمستويين الصوتي والتركيب في هذا النص الشريف إلى جملة من النتائج المحكمة، تثبت بما لا يدع مجالا للشك أن هذا الدعاء ليس مجرد كلمات تتردد على اللسان، بل هو بناء فني محكم، ونفس إيماني يتنفس خشوعاً وإنابة، وفكر عقائدي يقر بعظمة الخالق وحاجة المخلوق. فقد تجلّى لنا أن التكرار الاستهلاكي المتنوع بصيغ النداء من (اللهم، ويا من، وإلهي، ويا مع الصفات) لم يكن خشوعاً أو عبثاً، بل أسس لخريطة صوتية نادرة، قسّمت النص إلى أنساق مترابطة، ونأى به عن الرتابة والملل، وجسد بعبقرية فائقة حالة التجاذب النفسي بين البعد والقرب، والخوف والرجاء، والمعصية والتوبة، فكان كل نسق منها وقفة مستقلة ذات نبرتها وإيقاعها الذي يلائم مضمونها. كما كشفت الدراسة عن توظيف بارز للتكرار المعجمي والحرفي، حيث شكلت ألفاظ القدرة والخلق الكوني كالصباح والليل والفلك والضياء نسقاً معجماً حاججاً يبرر الوقوف بين يدي الله، ويؤسس لمنطق الإيمان بقدرته، في حين أن تكرار حرفي اللام والهاء في سياقات محددة لم يأت مصادفة، بل أسهم في ترسيخ معاني التماسك تارة، والهلاك والضياع الناتج عن اتباع الهوى تارة أخرى. ولم يخل النص من سجع متوازن ومطرف، وتجنيس مضارع، أضفى على الدعاء موسيقى داخلية هادئة، تليق بأجواء المناجاة والخشوع، وعززت تماسك بنائه ووقعها في النفس.

^{١١} البلاغة العربية فنونها وافنانها، فضل حسين عباس، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع ، اربد ، الطبعة ١٩٩٢ ، ص ١٩٠



أما على المستوى التركيبي، تبين أن غلبة الجمل الإنشائية، وفي مقدمتها النداء بأنواعه، ثم الأمر والاستفهام، لم تأت من فراغ، بل جاءت لتخدم غرض الدعاء الأساسي وهو الطلب والتضرع والثناء. وقد أظهر التحليل أن صيغة الأمر هنا قد انزاحت عن معناها الحقيقي لتصبح التماساً ودعاءً من الأدنى إلى الأعلى، وهو ما يضيف على النص روح الخضوع والتذلل. أما الاستفهام، فقد تجلّى في أبهى صورته حين امتزج بالشرط، أو جاء في سياق التقرير المجازي، حيث يسأل الإمام عما يعلم إجابته مسبقاً، ليس طلباً للخبر، بل لإثبات حالة العجز والذلة، والتأكيد على أنه لا ملجأ من الله إلا إليه، فكان الاستفهام في مواضع مثل (فمن السالك بي إليك؟) و(كيف تطرد مسكيناً؟) أداة بلاغية نافذة أعمق أثراً من الخبر المجرد. ولعل أبرز النتائج التي توصل إليها البحث هي تلك الثنائية المتجددة في النص بين البعد والقرب، حيث يعبر الإمام بلسان حال الأمة المسلمة عن شعور بالبعد بسبب الذنوب والأهواء، وفي الوقت نفسه إقرار بقرب الله ورحمته الواسعة، وهذا الصراع النفسي هو جوهر التجربة الروحية في الدعاء، مما يؤكد أن هذا النص ليس تعبيراً عن ذات علي عليه السلام المنزهة، بل هو نموذج إنساني جامع يعبر عن مكونات النفوس المثقلة بالخطايا الراجية للغفران. إن هذه الخصائص الأسلوبية مجتمعة تجعل من دعاء الصباح نصاً فريداً، يعلو بكلام المخلوقين، ويقترب بأسراره من كلام الخالق، ويبقى شاهداً على عبقرية الإمام علي اللغوية والفكرية، ودليلاً على أن اللغة العربية في أسمى تجلياتها هي لغة الإيمان والعقيدة والمناجاة.

المصادر

- القرآن الكريم.

١. ابن طاووس، علي بن موسى. إقبال الأعمال. طهران/إيران: دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٩ هـ.
٢. أبو العدوس، يوسف. الأسلوبية: الرؤية والتطبيق. ط٣. عمان/الأردن: دار المسيرة للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م، ص ٣٥.
٣. برزادنيا، مينا؛ العبدى، مالك عبد الرسول، زينب. البنيات الصوتية التوليدية في دعاء كميل بن زياد: استعراض وتطبيق في ضوء خصائص الأصوات. مجلة آداب الكوفة، جامعة الكوفة، العراق، المجلد ١، العدد ٤٧، ٢٠٢١م، ص ٣١-٦٠.
٤. بلاوي، رسول؛ شيرازي، حيدر فرع. أسلوب التكرار ومثيراته الدلالية في الصحيفة السجادية. مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، العراق، العدد ٢٢، ٢٠١٦م، ص ١٢١-١٢٣.
٥. حسين، إدريس طارق. المناجاة وأدعية الأيام عند الإمام زين العابدين عليه السلام. رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، العراق، ٢٠٠٦م، ٢١-٤٤.
٦. عباس، حسن. خصائص الحروف العربية ومعانيها. دم: دن، دبت، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨م، ص ٧٠-٧١-٧٢.
٧. عباس، فضل حسن. البلاغة العربية: فنونها وأفانها. إربد/الأردن: دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٢م، ص ١٩٠.
٨. علي بور، رائدة؛ غانمي، محمد جواد إسماعيل. المستوى التركيبي في الدعاء القرآني. مجلة آداب الكوفة، جامعة الكوفة، العراق، المجلد ١، العدد ٣٧، ٢٠١٨م، ص ١١٥-١٣٠.
٩. فضل، صلاح. علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته. القاهرة/مصر: دار الشروق، ١٩٩٨م، ص ١١٢-١١٥.
١٠. كاظم، فرحان بدري. خصائص الأسلوب في شعر العباس بن الأحنف. رسالة ماجستير، كلية التربية/ ابن رشد، جامعة بغداد، العراق، ١٩٩٧م، ٢٣.
١١. المباركفوري، عبد الرحمن. تحفة الأحوذى في شرح سنن الترمذي. المجلد الثامن. ط٧. تحقيق: مركز الرسالة للدراسات وتحقيق التراث. الكويت: مركز الرسالة، ٢٠١٥م.
١٢. المسدي، عبد السلام. الأسلوبية والأسلوب. تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٢م، ص ٨٧-٩٠.
١٣. الوائلي، أحمد. إيقاع الفكر. ط١. بيروت/لبنان: دار الصفوة، ١٩٩٣م/١٤١٣هـ، ص ٢١-٢٥.